حركات التشيع في المغرب

ومظاهره

محاضرة الأستاذ

الدكتور عبداللطيف السعداني
استاذ الأدب الفارسي بجامعة رباط
في المؤتمر الألفي للشيخ الطوسي

فاس ـ المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحلول شهر محرم من كل عام يتغير وجه الحياة فى المغرب حيث يدع الناس ايام الدّعة والاستكانة الى الأهواء و يتبدلون بها عودة الى محاسبة النفس ، فيستيقض الضمير فيهم و تعود الذكرى الى حياتهم الاسلامية لتنير فيهم واقعهم و ما هم عليه و تحيى فى ايمانهم المعنى الخفى للحقيقة التى انتقلت من الوحى النبوى فى آل بيته و ابناء عترته . تلك هى ذكرى عاشوراء ، واستشهاد سيدنا الحسين . ففى هذا الشهر نرى الناس فى جميع مدن المغرب فى هرج ومرج لايمكن ان يوصف الاّ بأنّ حدثا عظيما قد حلّ بهم ، و اىّ حدث اعظم من الفتنة الكبرى التى ادت الى انهيار ذلك الطود العظيم حفيد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم . فاذا هم منصرفون الى القيام بأعمال و تصرفات امتزجت اليوم بكلهم ، وحلّت من السنة محلاً مرموقا مترقبا و لكن الزمن اكسب هذه المناسبة طابع العادة حتى لايكاد الاّ القليل يدرك مغزاها الحقيقى .

غير ان الشىء الذى تعارف عليه اهل المغرب و نظروا اليه نظرة احترام و تقديس هو ان شهر المحرم شهر العزاء يهيمن فيه الأسى والحزن العميق على القلوب ، فلايباح مطلقا التجمل حتى ولاغسل بيوت اوثياب ولاتّرف عروس ولاتّدق طبول اوتسمع مزامير بل ان الناس ليلبسون فى

هذه المناسبة لباس العزاء في بلاد المغرب ثيابا بيضا . و تبدؤ الأسر العلوية هذه المواسيم منذ اليوم الأول من المحرم الى العاشر منه اما باقي الشرفاء فيتمون الى آخر الشهر ، و يطبخ في اليوم المشهود الأكل للتصدق به ، وقد جعلت طبقة التجار هذه المناسبة لبذل المال فكان هذا اليوم هو يوم الزكاة في السنة لكأنّما يرمز ذلك الى محاسبة الأعمال . اما الآخرون فيمسكون عن الأكل في هذا اليوم احتسابا لله . وما ينفكّ الحزن غالبا على احوالهم حتى ليعتقدون انه غالبا ما يصادف ان يبكى الانسان في هذا اليوم ، يوم عاشوراء ، بل لتجدنهم سعداء بتلك الدموع الغالية التي تذرف تعبيرا من الألم لفقدان شهيد الحق. واما الأطفال فلهم من هذه الذكرى اللعب و نلاحظ من بينها قلل الماء الصغيرة التي تهدى اليهم من ذويهم ، و ذلك رمز للظمى الذي مات به شهيد الذكرى . و اكبر ما يستوقف الملاحظ هو بقايا مشاهد المراثي التمثيلية بالكراكز التي تقام كل سنة في مدينة مكناس و فاس و مراكش .

فكيف استقرت هذه العادات في الحياة المغربية ؟ و الى اى حدّ تغلغلت في عقيدة المغاربة ؟ ان للمغاربة منذ بداية تاريخهم الاسلامي حب شديد و تعلق كبير بآل البيت الأطهار ، و ليس ادل على ذلك من موازرتهم لهم حيث وجدوا عندهم الملاذ الأخير بعد ان حوربوا في بلادهم و يئسوا من البقاء بها ، فالتجؤوا الى بلاد المغرب ، فأيدهم المغاربة و نصروهم و اعترفوا بحقهم ، و بذلك تكونت في رحاب المغرب الأقصى و بين ظهراني المغاربة الدولة الهاشمية الادريسية ، و هي اول دولة علوية تتكون في العالم

الاسلامى . كما ان اول دولة شيعية ـ وهى الدولة الفاطمية ـ نشأت وترعرعت فى بلاد المغرب بتونس ، و كان هـذا الأمر نفسه هـو الدعامة الأساسية لتكوين الدولة السعدية والدولة العلوية بعد ذلك فى المغرب . و هذا فضل للمغاربة سجلوه فى تاريخ العقيدة يقضى الانصاف ان نذكره لهم هنا .

بعد ما انجاب الظلام فى وقعة فخ ثانى ذى الحجة سنة ١٦٩ هـ عن موت الامام محمد (النفس الزكية) بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه ، تفرق ابناء عبدالله فى الأرض شذر مذر ، و ولى كل وجهة يطلب النجاة بالأمانة التى يحملها بين جوانبه ، و يبحث عن المكان الجديـر بها ليبثّ السر و يذيع الأمر . . . و سقط الاخوة الواحد تلو الآخر فى ميدان الجهاد من اجل الدعوة فى مختلف بقاع العالم الاسلامى . وكان ادريس احد هؤلاء الاخوة قد يمّم وجهه شطر بلاد المغرب يرافقه و يرعاه مولاه راشد ، و كتب له الأقدار النّجاة من الأخطار التى كانت تترصد آل البيت حيثما كانوا والتى كانت ترافقه و هو ينتقل من الحجاز الى مصر ، و منها الى برقة والقيروان ثم طنجة ، و اخيرا استقر به المطاف غرة ربيع الأول سنة ١٧٢ هـ فى مدينة «وليلى» . و بذلك خطّ فى تاريخ الشرفاء العلويين عهد جديد يبشّر بالخير . .

و ما ان عـرف صاحب «وليلى» عبـدالحميد الأوربى نسب المولى ادريس الشريف حتى رحب به و انزله المكان الجدير به و سمع به اهالى قبائل اوربة البربر فهرعوا يسلمون اليه قيادهم شاكرين لله هذه النعمة معبرين عن ذلك بقولهم «الحمد لله الذى اتانا به وشرّفنا بجواره فهو سيدنا و نحن

عبيده نموت بين يديه» .

فأخذ منهم عبدالحميد البيعة للمولى ادريس .

كان هدف المولى ادريس منذ اللحظة الأولى هو نشر الاسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية اذ ان اكثرهم كان لايزال يدين باليهودية والنصرانية . وعاود هذه الحملة التطهيرية سنة١٧٣هـ.واردفها بأخرى حتى اسلمت بلاد تامسنا و تادلا . ممهّداً لارساء اسس دعوته ، ولكنه لم يستمر طويلا في القيام بالأمر فقدعالجته القوى المترصدة لآل البيت في بغداد بعد ان قضت على كل اثر لهم في الشرق ، فقتل و لما يمر على حكمه سوى زمن" يسير . ثم مالبث ان بدأت النكبات تظهر من جديد ، فقتل مولاه راشد الذى اخلص للدعوة لآل البيت و تفانا في خدمة المولى ادريس و كان له اكبر الأثر في تكوين هذه الدولة الفتية . وركدت امور هذه الحركة الاسلامية المباركة في بلاد المغرب قليلا . غير ان البربر استمروا في الوفاء للعهد الذى بذلوه الى ان شب ادريس الثانى الابن الوحيد الذى تركه مؤسس دولة الأدارسة من زوجته البربرية «كنزة» و بلغ الحادية عشرة ، فتسلم زمان الأمور و تابع القيام بهذه المسولية . . . فبرزت المرحلة الثانية من مسيرة الدولة الادريسيّة و ما زال يوطّد دعائمها فكان مما عمد اليه واهتم به قطع الصلة بين المغربين وبين الدولة العباسية (١) اولا واستئصال الخوارج الصفرية من البلاد. وبهذا نرى انه خط الخطّة التمهيدية الثانية و فسح الجوّ للدعوة والقائمين بها . و مضى خلفاؤه من

١ــ تاريخ ابن خلدون ج١ ص٢٧ .

بعده فى محاربة الخوارج كما فعل على بن عمر بن ادريس ويحيى بن ادريس الذى قضى على الخارجى الثائر بفاس عبدالرزاق الفهرى الصفرى(٢) ولكن اعقاب المولى ادريس الثانى واجهوا فى سبيل نشر دعوتهم والاعلان عنها عراقل كثيرة و صعاب جمة فقد كثرت الاضطرابات والقلاقل من كل جانب بعد ان وزعت المملكة بينهم ، و استفاد المتربصون شرا والطامعون فى احتلال البلاد . فالأمويون فى الآندلس يحاولون باصرار بسط نفوذهم على المغرب والسيطرة على دولته ، و يستخدمون لذلك جميع الوسائل ليضطّروا حكامه الى الخضوع حتى انهم سلّطوا عليهم احد المعادين لآل البيت موسى ابن ابى العافية الّذى كان يحقد عليهم اشد الحقد و اراد استئصالهم من المغرب نهائيا ، و ظلّ لهم بالمرصاد الى آخر ايامهم حتى اجلوا عن اوطانهم و رحّلوا الى الآندلس . . . الى جانب هذا كان على مسرح المغرب فى المرحلة الحساسة لتكامل دولتهم نشور الدولة الفاطميّة بتونس و مزاحمتها فى تزعّم هذه الحركة .

ومع ذلك فقد تخللت فترة حكم الشرفاء الأدارسة للمغرب اوقات اعلن فيها الحكم الشيعى الصريح ومذهبه حيث سمحت الفرصة بالبوح بعقيدتهم. ذلك ان هذه الدولة كانت تشهد على حدودها الشرقية مولد اول دولة شيعية هى الدولة الفاطميّة بتونس، وسرعان ماتم الأمر لهذه الدولة وبدأت توسّع رقعة سلطانها بالمغرب من جهة و تتطلع الى مصر من الجهة الأخرى ففى سنة ٣٠٥ هـ توجه مبعوث عبدالله «مصالة بن حبوس المكناسى» قائد

٢ــ تاريخ الإسلام . الدكتور حسن. ج١ ص١٦٣ .

عبيدالله المهدى الى المغرب ووصل الى فاس حاضرة الأدارسة فحاصرها وكان اميرها يحيى بن ادريس الادريسى الاميرالذى ملك جميع بلاد المغرب وبلغت الدولة الادريسيّة فى عهده اعلى مقام واصبحت الحال على وشك الاستقرار. فشدد الحصار الى ان صالحه هذا الأمير بقبول طاعة عبيدالله الشيعى فابقاه على حكمه لفاس من قبل الفاطميين، وترك لموسى ابن ابى العافية حكم باقى البلاد المغربيّة وكان من الجائز ان تسير امور الأدارسة والفاطميين على احسن مايرام، وان ينمو هذا الاتجاه الجديد فى العقيدة المغربيّة يآزر احدهما الآخر ويعينه لولم يدب الحقد والحسد الى ابن ابى العافية فيوغر صدر «مصالة» على يحيى الادريسى ويوقع بينهما وهو يظهر النصح للشيعة والاخلاص لهم والتمسك بدعوتهم. وهنا يتحول اهتمام الأدارسة فينصرفون الى الانشغال بمبارزة العداء الّذى يواجههم، و تتم المؤامرة فيعزل يحيى ولكن اهل فاس لايقبلون « ريحان » بديله عليهم من قبل العبيديين، ثم لايلبث ان يثور الحسن الحجام بن محمد بن القاسم بن ادريس سنة ٣١٠ هـ ولكنّه يلقى حتفه بسبب خيانة عامل فاس سنة ٣١٣ هـ. و هنا ينتهى عهد الأدارسة بفاس حيث يعتصمون «بحجر النسر» بالريف، ذلك المعقل الذى بناه اخو الحسن الحجام ابراهيم سنة ٣١٧ هـ وظل ابن ابى-العافية متحكما فى المغرب من طرف العبيديين الى سنة ٣٢٠ هـ حيث خلع طاعتهم ودعا للامويين فحاربه الفاطميون، وخرج اذذاك الادارسة من حصنهم «حجر النسر» بعد ان ظلّوا به اربعة اعوام، وانضموا اليهم فى قتال موسى ابن ابى العافية حتى قضوا عليه ... ولكن البلاد بقيت معذلك فى

قبضة الأمويين الى سنة ٣٢٣ هـ حيث قدم ميسور الفتى الى المغرب من لدن ابى القاسم عبدالله المهدى على اثر وفاة والده ، وحاصر مدينة فاس الى ان تمكن منها ، وبقيت هذه المدينة تحت امرة الفاطميين حتى سنة ٣٣٥ هـ اى مدة ثمان عشرة سنة فتولّى الأدارسة جميع البلاد قائمين بدعوة ابى القاسم الشيعى. ويظهر انّه تم بذلك اجتماع هاتين الحركتين وبدا الانسجام بينهما... فنجد الادارسة فى هذه المرحلة يظهرون تشيّعهم اذ ملك منهم اذ ذاك القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الثّانى الملقّب بـ « كنون » وقام بدعوة الشيعة (٣) .

غير ان القوة التّى كانت تجاورهم من الشمال كانت تهددهم باستمرار فما ان توفى «القاسم» سنة ٣٣٧هـ وتولى ابنه «ابو العيش احمد بن القاسم» حتى دعا الى الأمويّين وبايع لعبدالرحمن النّاصر لدين الله (٣٠٠-٣٧٧) ويمتاز هذا الأمير بأنّه كان يتوق الى الجهاد فى بلاد الآندلس وبها مات سنة ٣٤٣ هـ ، تلك البلاد التى كان لها فيما بعد شأن فى تاريخ هذه الدعوة: فما لبث الفاطميّون ان اعادوا الكرة سنة ٣٤٩هـ. وردوا الأمور فى المغرب الى نصابها . وبعد هذا ظهر آخر ملوك الأدارسة وهو اخو ابو العيش ، الحسن بن كنون مبايعا للعبيديين ثم للامويين « خوفا منهم لاحبا فيهم » كما يقول ابن ابى زرع فى كتابه القرطاس(٤) الى ان دارت عليه الدائرة

٣ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى ملوك المغرب ومدينة فاس . ابن ابى زرع . ج١ ص١٢٧ .

٤ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى ملوك المغرب ومدينة فاس . ابن ابى زرع . ج١ ص١٣٨ .

فابعد واهله عن المغرب ، وانتهى الأمر ان حاربهم وقتل وهو يحاربهم سنة ٣٧٥ هـ وبذلك انقرضت الدولة الادريسية وهي تصارع المعارك (٥) .

لقد ملكت هذه الدولة العلوية الشريفة بلاد المغرب زهاء ٢٠٣ مائتين وثلاث سنين، وبسطت نفوذها من السوس الأقصى الى مدينة وهران. وبالرغم من هذه المدة الطويلة فانها لم تتمتع بالاستقرار الّذى يمكنها خوض المعارك الفكريّة والعقائديّة الّتى كانت على اهبة القيام بها بعد المعارك السياسية (٦) فقد اصابتها هزات عنيفة من كل جانب، وقصرت عن الوصول الى مستوى منافسيها في الخلافة لـ : «ضعف سلطانهم وقلّة مالهم» (٧) . على ان هناك في رأينا عاملان اساسيان اخريان كان من شأنهما ان لا يشجعا على ظهور التّشيّع بالمغرب يجب ان يضافا الى ما تقدم . فبالزعم من ان المغرب قد عرف ظهور دولة المذهب الشيعي ومبادئه فان ازدهار هذا المذهب وبلوغ الدولة الفاطمية شأوا كبيرا تم بعيدا عن البلاد المغربيّة في مصر ، وقد كان هذا من الأهداف التى جعلت الفاطميّين ينقلون دولتهم من المغرب الى مصر . كما ازدهر الفكر الشيعي في البلاد الشرقيّة مثل ايران ، حيث كانت هذه البلاد مستعدة فكريا لقبول العقائد الشيعية والخوض فيها لما عرفته من قبل ذلك من فلسفات وعلوم ومعارف،

٥ــ رغم زوال الدولة الإدريسية فان المذهب الشيعي ظل رائجا في المغرب كله الى اواسط القرن الخامس الهجري كما يظهر من كلام صاحب الإستقصا . ج ١ ص ١٣٨ .

٦ــ تاريخ الإسلام . الدكتور حسن ابراهيم حسن . ج ٣ ص ١٦٧ .

٧ــ الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . الناصري . ج ١ ص ٢٠٥.

كما انّها كانت مستعدة روحيا لذلك بعد ماعاشت الصراع السياسى الّذى خاضه ائمّة التشيّع . وهذا كله لم يكن يتوفر فى البلاد المغربية التى كانت وماتزال عقيدتها الاسلاميّة بسيطة وايمانها بهذه العقيدة ساذجا .

وثانى السببين فى عدم تمذهب الادارسة وغيرهم من الاسر الشريفة التى حكمت المغرب فى دعوتهم لآل البيت هو ان جميع هؤلآء الشرفاء حسنيون يرجع نسبهم الى سيدنا الحسن بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه فلم تتجسم فيهم تلك العقيدة الشيعية الّتى ظهرت فى اعقاب سيدنا الحسين رضى الله عنه الولد الثّانى لسيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه الّذى يعد الأمام بعد ابيه ومنه استمرت هذه الدعوة فى اعقابه . ومهما يكن من امر فقد بذل المغاربة للادارسة الولاء ودانوا لهم بالطاعة الكاملة اخلاصا منهم فى محبّة آل البيت واوضح دليل على هذا التفانى فى الاخلاص لهم انّهم كانوا دائما معهم يؤيدونهم فى كل حالاتهم ، فى متابعتهم للمروانيين ، وفى متابعتهم للعبيديين .

كاد اثر دولة الادارسة ينمحى، او هكذا ظن اعداؤهم الأمويّون بعد ان اجلوهم عن معاقلهم بالريف الذى كان يدين لهم بالحب، وجبال غمارة الّتى ظلت تنقاد لهم و تعظمهم (٨) وبعد ابعادهم عن بلادهم حتى لم يبق

٨ــ نرى ذلك حتى فى زمن متأخر عن هذا العهد فى آخر الدولة المحمودية، فعند ماطرد محمد المهدى اخاه السامى من الأندلس ذهب هذا الى المغرب ونزل بجبال غمارة . الكامل فى التاريخ . ابن الأثير، ج٩ ص٢٧٢ .

منهم بالعدوة رئيس (٩) ونفيهم الى الآندلس. غير ان التشيع الموروث لأولاد ادريس (١٠) خلّد هذه الدولة الى الأبد في نفوس المغاربة والبربر عامة، فلم تخب دولتهم ولا زال امرها بل سرعان ما انتقلت الى الآندلس لتزيل دولة بني اميّة وتخلفها، وكانت حركة اولائك النازحين الى هذه البلاد من تلك الأسرة الادريسية الذين استقروا سنة ٣٦٤ بقرطبة تحت رعاية ملكها الحكم الأموي الرمز الأول لهذا الانتقال. كما انتقلت مع البربر الفاتحين للآندلس في ذلك العهد الذين حفظوا للشرفاء عهد المحبة والولاء فما ان ظهر احفاد للادارسة على مسرح الحياة السياسة بالآندلس حتى التفّوا حولهم ودعوا لهم.. كان ذلك عند ما عبر اثنان من اعقاب الأدارسة الى بلاد الآندلس في خدمة سليمان بن الحكم الأموي وهما القاسم وعلي ابنا حمّود ابن علي بن عبيدالله بن عمر بن ادريس الثّاني بن ادريس الأول. وكان اول امرهما ومبدؤ نشأة الدولة في اسرتهما ان وليا قائدين على المغاربة في الآندلس، ثم وكل سليمان القاسم امور الجزيرة الخضراء، وعلياً وهو الأصغر امور سبتة وطنجة. وقد كانت لقبائل صنهاجة (١١) وزناتة وبني يفرن بتاكرونة (١٢) وبرغواطة (١٣) اليد البيضاء في مدهم بالمساعدة وشّد

٩ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس. ابن ابي زرع. ج ١ ص١٣٨.

١٠ــ العبر وديوان المبتدء والخبر. ج٤ ص٣٣٠. ابن خلدون.

١١ــ المعجب في تلخيص اخبار المغرب. عبدالواحد المراكشي ص٣٨.

١٢ــ نزل ادريس بن يحيى الحمودي الملقب بالعالي في آخر ايامه عند بني يفرن بتاكرونة. المعجب. ص٤٢٤١.

←

ازرهم ، حتى قال الشاعر ابوعبدالله الرعينى فى مدح القاسم :

ولمّا دعى الشيطان فى الخيل حزبه
و اقبل حزب الله فوق خيوله
كتائب من صنهاجة و زناتة
تضايقت فى عرض الفضاء وطوله

ويكفى دليلا على هذه الصلة الوثيقة الّتى كانت تشدّ بين هذه الأسرة الهاشمية وبين برابرة المغرب، هى ان زوال ظلّهم عن قرطبة يعزى الى ما اخذه عليهم اهل هذه البلاد من ميلهم الى البربر (١٤) .

ولم يخف بعض الناصحين لملك سليمان من البربر الموالين للامويين تخوفهم من تولية هذين العلويين الطالبيين (١٥) اذ سيظل هذا الحق مطلوبا مادام فيهم عرق ينبض... ولم يمض زمن يسير حتى بدت رايات الدعوة العلويّة يقودها احد ذينك النازحين الحمّوديين الى الآندلس على بن حمّود سنة ٤٠٧ هـ ، واستجابت الرغبة الدفينة فى قلوب مواطنيهم الذين كانوا يسكنون قرطبة فسمى ذكرهم (١٦). ومنذ ذلك الحين تكونت هذه

→

١٣ــ اعتقد ادريس بن يحيى الحمودى فى اول ايامه على البرغواطيين فولى مدينتى سبتة وطنجة رجلين من هذه القبيلة . المعجب. ص٤١ .

١٤ــ الكامل فى التاريخ . ابن الأثير. ج٩ ص٢٨٢ .

١٥ــ اعلام الأعلام فيمن بويع بالخلافة قبل الإحتلام . ابن الخطيب السلمانى . ص١٢٨ــ١٢٩ .

١٦ــ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى ملوك المغرب ومدينة فاس. ابن ابى زرع . ج١ ص١٤٣ .

الدولة . اطلق البعض عليهم الحسينيون وسماهم البعض الآخر العلويون او العلويّون الأدارسة وسموهم الفاطميون ، ومهما تكن التسمية فان هذه الدولة قامت لارجاع الحق المغصوب لآل البيت من اسرتهم . ونلاحظ ان الظروف كانت تفرض قيام من يدافع عن هذا المبدأ اذ ان الشيعة كانوا يمرون باوقات مصيبة، فقد سائت حالهم بتونس ولاقوا التقتيل والتعذيب، وقامت الفتن بين السنّة والشيعة على اشدها في العراق بواسط (١٧) . من ذلك نستبين الهدف الذى قصدت اليه هذه الدولة، وقد كان امرين اساسيين :

اولهما مناهضة الحكم الأموى في الآندلس .

وثانيهما الدعوة للدولة العلوية وللمذهب الشيعى .

اما الهدف الأول فقد اصابت منه الكثير حتى ذكر انهم كانوا سبب زوال الأمويّين من الأندلس والقضاء على دولتهم (١٨) واما الدعوة للدولة فى آل البيت فانّهم نجحوا فى القيام بها الى حد بعيد فكونوا دولة بجميع مظاهرها وتلقبوا بالقاب الخلافة مثل «الناصر لدين الله» و «المأمون» و «المستنصر» و «المتأيّد» وبسطوا نفوذهم على كثير من بلاد الآندلس . فكانت عاصمتهم مالقة، وملكوا الجزيرة الخضراء وقرطبة واشبيليّة وغرناطة والمرية وقرمونة ورندة واعمالها ومن مدن المغرب طنجة وسبتة . وخطب لهم فى جميع هذه البلاد وضربت السكّة باسمهم .

واما تشيّعهم فقد ظهر عليهم اثر لذلك ولكن المصادر التى بين

١٧ــ الكامل فى التاريخ . ابن الأثير . ج٩ ص٢٩٥ .

١٨ــ العبر وديوان المبتدىء والخبر . ابن خلدون. ج٤ ص٢٢٨ .

ايدينا وهى مصادر فى اغلبها تؤيّد المذهب السنى اكتفت بالقول بانّهم «تشيّعوا ولم يظهروا ذلك ولا غيّروا على الناس مذهبهم»(١٩) ولم تعقّب على ذلك ولا علّقت عليه مما يكاد يحس معه من الاشارات العابرة انّها اغفلت الحديث عن هذا الأمر ، وغضت الطرف عنه ولم تذكر الا ما اضطرت اليه اضطرارا عند نقل شعر لأحد شعراء الآندلس فى هذه الفترة مثلاً اذ كان من اللازم الاشارة الى الشعر الشيعى وقد بلغ فى هذا العصر شأوا عاليا . على اننا يجب ان لا نفعل ما يكون قد ركن اليه دعاة هذه الدولة من السريّة التى تحتمتها الظروف القاسية التى تواجه كل عقيدة تحاول الظهور فى محيط جديد

ومع ذلك نستطيع ان نتبين الجو الذى خلّفه وصولهم الى الحكم وآمال الناس فيهم. يقول ابو عبدالله الرعسينى الأعمى من قصيدة فى القاسم ابن حمّود يذكر فيها خيران الصقلبى وقتل المرتضى المروانى و فتح غرناطة :

لك الخير خير ان مضى لسبيله
و اصبح ملك الله فى ابن رسوله
وفرق جمع الكفر واجتمع الورى
على ابن حبيب الله بعد خليله
و قام لواء النّصر فوق ممنّع
من العزّ جبريل امام رعيله

١٩ــ الكامل فى التاريخ. ابن الأثير. ج٩ ص٢٧٤. والمعجب فى تلخيص اخبار المغرب . المراكشى . ص٣٠٠ .

و اشرقت الدّنيا بنور خليفة
به لاح بدر الحق بعد افوله

على ان اهم ماكان الناس يمجدون به هذه الدولة وما يرجون منه كل الخير هو نسبهم الهاشمى، لذلك كان هؤلآء الأمراء يسلكون نهج اجدادهم فى اعطاء صورة لتلك العهود التى يرجونها بوجودهم. فعند ماتولّى على بن حمّود الملقّب بالناصر لدين الله اخذ الحكم بقوة وساس الناس بالعدل حتى نقلت فى ذلك الأخبار العجيبة و وجد الناس فى كنفه الأمن والطّمأنينة وقد قصده الشاعر احمد بن عبدالمالك ابن شهيد و قال وهو يودع قرطبة ملتجئا الى مالقة :

عليكم بدارى فاهدموها دعائما
ففى الأرض بنّاؤون لى و دعائم
اذا هشّمت حقّى اميّة عندها
فهاتا على ظهر المحجّة هاشم

وطبعا كان كباقى اسرته متشيّعا . ونستطيع ان نستدل من الاوصاف الّتى وسم بها ان الأفكار الشيعيّة كانت تروج بالآندلس آنذاك، فقد كان ذا ولع بالأمداح النبويّة، فكثر هذا الفن فى عهده وشاع فى الآندلس عند ذلك الحسين، وكان يجزل العطاء لشعر الأمداح النبويّة، وقصده الشعراء المتشيعون فهذا عبادة بن ماء السماء كان معروفا بالتشيع يمدحه ويثبت احقيّته فى الامامة ويهيب بالناس الى طاعته. يقول :

ابوكم على كان بالشرق بدء ما ورثتم وذا بالمغرب ايضا سميه

فصلّوا اجمعون و سلّموا له الأمر اذ ولاه فيكم وليّه

ويصف ابو عبدالله الرعيني القرطبي عليّا هذا بالامام فيقول :

سقى منبت اللّذات منها بن هاشم

اذا انهملت من راحتيه الغمائم

امام" . امام الدين حدّ حسامه

طرير ومنه في يد الله قائم

وقد قيلت في رثاء علي بن حمّود احدى الروائع من غرر الشعر الشيعي لأبي عمر احمد بن دراج القسطلي ابدع فيها واجاد فاستنزعت من ابي الحسن علي بن بسّام في كتابه الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة اطراء جميلا واعترافا جعلها في قمة الشعر الشيعي فقال عنها : «وهذه القصيدة له طويلة ، وهي من الهاشميات الغرّ... لو قرعت سمع دعبل بن علي الخزاعي، والكميت بن زيد الأسدي لأمسكا عن القول وبرءا اليها من القول والحول، بل لو رآها السيد الحميري و كثيّر الخزاعي لأقاماها بيّنة على الدعوى، ولتلقياها بشارة على زعمهما بخروج الخيل من رضوى...» (٢٠) وتبدؤ هذه القصيدة ببكاء شجي ، بكاء تجهش به قلوب الشيعة في كل مكان ويتردد معناه في الشعر الفارسي ، مستوحى من حمرة شمس الأصيل . يقول :

لعلك يا شمس عند الأصيل شجيت لشجوا الغريب الذليل

فكوني شفيعي الى ابن الشفيع وكوني رسولي الى ابن الرسول

ثم يصف الواقعة الأليمة التي حلت بآل البيت فيقول :

٢٠ــ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . ابن بسام . ج١ ص٧٠ .

تهاوت بهم مصعقات الرواعد في مد جنات الضحى والأصيل
بوارق ظلماء ظلم قبيح دمى من حمى او دما من قتيل
فأذهل مرضعة عن رضيع وانسى الحمائم ذكر الهذيل

ويصف فيها القاسم بن حمّود ونسبه فيقول :

لعلّ عواقبه ان تنم فتهدى الغريب سواء السبيل
الى الهاشمى الى الطّالبى الى الفاطمى العطوف الوصول
الى ابن الوصى الى ابن النّبى الى ابن الذبيح الى ابن الخليل

وهذه القصيدة طويلة تنيّف على سبعين بيتا(٢١) كلها ذات نفس واحد الى آخرها وقد ختمها مؤكدا مقام آل البيت واحفادهم بنى حمود، وامامتهم المدعمّة بالكتاب وبالمنطق فيقول :

فانتم هداة حياة و موت وانتم ائمّة فِعل و قيل
و سادات من حل جنات عدن جميع شبابهم والكهول
و انتم خلائق دنيا و دين بحكم الكتاب و حكم العقول

امّا ابن على بن حمود وهو يحيى بن على بن حمود الملقّب بالمعتلى بالله فقد زاد على من سبقه من بنى حمود بميزة رفعته مقاما سنيا تلك هى كرم الولادة، فامّه هى بنت محمد بن الأمير حسن بن القاسم، فهو اذن هاشمى الأبوين . وقل ان اجتمع ذلك لأحد من خلائف الاسلام الا ثلاثة من ابناء القرشيّات كان هو مكمل اربعتهم . اولهم جدهم الأعلى سيدنا على بن ابى

٢١ــ ديوان ابن دراج القسطلى . تحقيق الدكتور محمود مكى . ص ٧٥ــ٨١ .

طالب كرّم الله وجهه وثانيهم ابنه سيّدنا الحسن والثالث هو الأمين محمّد بن هارون. وقد زاد الى هذا الشرف ولوعه بتهذيب النفس والتخلّق بالفتوة شأن جده (الفتى) فكان شغوفا بالفروسية وركض الخيل والخروج للقنص.

لقد قصد الشعراء كما اشرنا فيما سلف بني حمّود ينثرون في مدحهم درر الشعر. و اذا كان في عمل هؤلآء الشعراء ما يعبر عن عصرهم لأنّهم لسان المجتمعات في مختلف العصور، فانّنا نجد ذلك ان اغفلنا جانب التقرب في مديحهم حيث ان شعرهم يحمل نزعة روحية ورسالة عقائديّة تنم عن الايمان باهل البيت ومذهب اشياعهم في امامتهم وعصمتهم وحقيقتهم الّتي قال عنها احدهم : انّها قبس من نور الله، بل انّنا لنجد من بينهم بعض الشعراء ممن عرفوا بالتشيع. ومن ذلك نجد قصيدة طويلة قالها ابو زيد عبد الرحمن بن مقانا الفندقي الأشبوني في ادريس بن يحيى بن علي بن حمّودا لملقّب بالعالي (٤٣٤-٤٣٨) وكان معروفا بالخير والعدل ننقل منها هذه الأبيات :

يا بني احمد يا خير الورى لأبيكم كان وفد المسلمين
نزل الوحي فاجتبى في الدجى فوقهم الروح الأمين
انظرونا نقتبس من نوركم انه من نور رب العالمين (٢٢)

هكذا عاش جزء كبير من الآندلس احدى فترات تاريخه في مطلع القرن الخامس، وظل تحت حكم آل البيت المتشيّعون يتبادل السلطة فيه الأبناء

٢٢- انظر رايات المبرزين وشارات المميزين. ابن سعيد. ص٣٣-٣٤.

والأخوة وابناء الأعمام من بني حمود طيلة ثمان وخمسين سنة (٢٣) وهم يجاولون نشر الرخاء والأخاء واقامة العدل حتى نجد هذه الصفة تلزم سيرة اكثر ملوك هذه الدولة فيما ذكر في شأنهم ، وحتى قال الشاعر ابن مقانا في ذلك :

خلقوا من ماء عدل و تقى و جميع النّاس من ماء وطين

وحتى ان خمسة منهم قد لقّبوا انفسهم بالهداية وفي ذلك الى هذا احد مظاهر نزعتهم الشيعية .

ومرّت هذه الدولة الهاشميّة كما مرت سابقتها يكتنف الغموض امر الدعوة الشيعيّة في ايامها ومدى اثره في المجتمع الذي مارست فيه الحكم. ونحن لا يمكننا ان نقتنع باقتصار تأثيرهم على من حولهم من الشعراء فقط وعدم وجود صدى لهذه الدعوة بين مختلف الطبقات من الناس. ومن حسن حظّنا هذه المرة ان احد اعلام المفكرين في القرن الثامن الهجري لسان الدين ابن الخطيب اتحفنا باشارة ذات اهمية كبرى . والفضل في ذلك يعود الى احدى النسخ الخطية الفريدة من مؤلفه التاريخي اعلام الأعلام فيمن بويع بالخلافة قبل الاحتلام التي حفظتها لنا خزانة جامعة القرويين بمدينة فاس من عاديات الزمن (٢٤) وبهذه الاشارة تنحل العقدة المستعصية وينكشف لنا ما كان غامضا من قبل مما اغفل الحديث عنه المؤرخون مما كان يجري في الآندلس من اثر التشيّع . ذلك ان ابن الخطيب عند حديثه عن دولة

٢٣ــ اعلام الاعلام فيمن بويع بالخلافة قبل الإحتلام . لسان الدين ابن الخطيب. ص ١٢٢ .

٢٤ــ يعود الفضل في اكتشاف هذه النسخة الفريدة من هذا الكتاب واطلاعنا عليها الى العلامة السيد العابد الفاسي مدير خزانة جامعة القرويين.

يزيدبن معاوية انتقل به الحديث الى ذكر عادات الآندلسيين واهل شرق الآندلس خاصة فى ذكرى مقتل سيّدنا الحسين من التمثيل باقامة الجنائز وانشاد المراثى . وقد افادنا عظيم الفائدة حيث وصف احدى هذه المواسيم وصفا حيّا شيقا حتى ليخيّل اننا نرى احياء هذه الذكرى فى بلد شيعى. وذكر ان هذه المراثى كانت تسمى الحسينية وان المحافظة عليها بقيت ممّا قبل تاريخ عهد ابن الخطيب الى ايامه . ونبادر الآن الى نقل هذا الوصف على لسان صاحبه :

« ولم يزل الحزن متصلا على الحسين، والمآتم قائمة فى البلاد يجتمع لهما النّاس ويختلفون لذلك ليلة يوم قُتل منه بعد الأمان من نكير دول قتلته ولا سيّما بشرق الآندلس ، فكانوا على ما حدثنا به شيوخنا من اهل المشرق (يعنى مشرق الآندلس) يقيمون رسم الجنازة حتى فى شكل من الثياب يستخبى خلف سترة فى بعض البيت وتحتفل الأطعمة والشموع ويجلب القراء المحسنون و يوقد البخور ويتغنى بالمراثى الحسنة» (٢٥) .

وفى عهد ابن الخطيب كان مايزال لهذه المراثى شأن ايضاً، فانه فى سياق حديثه السابق زادنا تفصيلا وبيانا عن الحسينية وطقوسها فقال :

« والحسينيّة التى يستعملها الى اليوم المسمّعون فيلوون لها العمائم الملونة ويبدلون الأثواب فى الرقص كأنّهم يشقون الأعلى عن الأسفل يقية من هذا لم تنقطع بعد وان ضعفت ومهما قيل الحسينية او الصفة لم يدر اليوم

٢٥ــ اعلام الأعلام فيمن بويع الخلافة قبل الاحتلام. ابن الخطيب. نسخة خطية ص ٣٦ و ٣٨ .

اصلها» . وفي المغرب اليوم مايزال اولئك المسمّعون الذين اشار اليهم ابن الخطيب يعرفون بهذا الاسم وينشدون ، و كثرت في انشادهم على الأخص الأمداح النّبوية . كما ان الموسيقى الآندلسيّة الشائعة اليوم في بلاد المغرب تشتمل في اكثرها على الأمداح النبويّة ايضا .

كما افادنا ابن الخطيب بنقله نموذجا لهذه المراثي مدى عناية الشعراء بهذا الموضوع وعرّفنا باحد شعراء الشيعة في الآندلس الذي اشتهر برثاء سيّدنا الحسين ، وهو ابو البحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي (٥٦١ـ ٥٩٨). وهذه القصيدة كانت مشهورة ينشدها المسمّعون وهي كما يلي (٢٦) :

سلام كأزهار الربى يتنسّم ... على منزل منه الهدى يتعلّم
على مصرع للفاطميين غيّبت ... لأوجههم فيه بدور و انجم
على مشهد لو كنت حاضر اهله ... لعاينت اعضاء النّبي تقسّم
على كربلاء لااخلف الغيث كربلا ... و الا فان الدمع اندى و اكرم
مصارع ضجت يثرب لمصابها ... و ناح عليهنّ الحطيم و زمزم
ومكة والأستار والركن والصّفا ... و موقف جمع والمقام المعظّم
وبالحجَر الملثوم عنوان حسرة ... الست تراه و هو اسود اسحم
و روضة مولانا النّبي محمد ... تبدى عليه الشكل يوم تخرم
ومنبره العلوى للجذع اعولا ... عليهم عويلا بالضّمائر يفهم
ولو قدرت تلك الجمادات قدرهم ... لدكّ حراء واستطير يلملم

٢٦ـ اعلام الأعلام فيمن بويع بالخلافة قبل الإحتلام. ابن الخطيب . نسخة خطية ص٣٧ـ٣٨ .

وما قدر ما تبكى البلاد و اهلها لآل رسول الله والرزؤ اعظم
لو ان رسول الله يحيى بُعَيدهم رأى ابن زياد امّه كيف تعقم
و اقبلت الزهراء قُدِّس تربها تنادى اباها والمدامع تسجم
تقول ابى هم غادروا ابنى نهبة كما صاغه قيس وما مج ارقم
سقوا حسنا للسُّمّ كأسا رويّة ولم يقرعوا سنّا و لم يتندموا
وهم قطعوا رأس الحسين بكربلا كأنّهم قد احسنوا حين اجرموا
فخذ منهم ثأرى و سكن جوانحا واجفان عين تستطير وتسجم
ابى، وانتصر للسبط واذكر مصابه وغلته والنّهر ريّان مفعم
واسر بنيه بعده و احتمالهم كأنّهم من نسل كسرى تغنّموا
ونفر يزيد فى الثنايا الّتى اغتدت ثناياك فيها ايّها النور تلثم
اذا صدق الصديق حملة مقدم وما فارق الفاروق ماض ولهذم
وعاث بهم عثمان عيث ابن صرّة و اعلى على كعب من كان يهضم
وجب لهم جبريل اتمك غارب من الغى لا يعلى ولا يتسنم
ولكنّها اقدار رب بها قضى فلا يتخطى النقض ما هو يبرم
فضى الله ان يقضى عليهم عبيدهم لتشقى بهم تلك العبيد و تنقم
هم القوم ، امّا سعيهم فمخيّب مضاع و امّا دارهم فجهنّم
فيا ايّها المغرور والله غاضب لبنت رسول الله اين تيمم
الا طرب يقلى الا حزن يصطفى الا ادمع تجرى الا قلب يضرم
فقوا ساعدونا بالدموع فانّها لتصغر فى حق الحسين و يعظم
ومهما سمعتم فى الحسين مراثيا تعبر عن محض الأسى و تترجم

فمدوا اكفا مسعدين بدعوة وصلّوا على جسد الحسين وسلّموا

وتتلمس هذه الحركة فيما بعد عصر مبدع هذه القصيدة الحسينيّة فنعثر على اثر آخر للفكر الشيعي حيث نلتقي باحد ادباء الآندلس في النصف الأول من القرن السابع الهجري، هو القاضي ابو عبدالله محمد ابن عبدالله القضاعي البلنسي (المقتول في ٢٠ محرم سنه ٦٥٨هـ) و نقف على اسم كتابين من مؤلفاته العديدة موضوعهما هو رثاء سيدنا الحسين . اولهما : اللجين في رثاء الحسين» ولا يعرف اليوم اثر لهذا الكتاب غير اسمه ، و ثانيهما : «درر السمط في اخبار السبط» . وكان كل مابقي من هذا الكتاب هو ما نقله المقرّي في كتابه نفح الطيب من غصن الآندلس الرطيب . وقد اعترف المقري بأنه اغفل نقل بعض الفقرات من الكتاب ممّا «يشم منه رائحة التشيع»[٢٧] ثم انه اكتفى بنقل جزء من الباقي فقط . و نضيف هذا القول الواضح والشهادة الصريحة الى ما اشرنا اليه سابقاً عن علة سكوت كتب التاريخ وغيرها عن الاشارة الى آثار التشيع في المغرب والآندلس . ولم يخل عمل المقري مع ذلك ، من اعطائه حكما موضوعيا عن هذا الكتاب ، فقال : «و هو كتاب غاية في بابه» . وقد اكتشف هذا الكتاب اخيرا برمته، و استطعنا ان ندرك عن كثب اهميته البالغة في هذا الباب[٢٨] .

و مهما اطلنا في التنوية بهذا الكتاب و اسلوبه الجميل و بيانه الرائع و تأثيره البالغ في سامعيه بوصفه لتلك الحوادث المؤلمة من تاريخ الاسلام،

٢٧ــ نفح الطيب . المقري. ج ٤ ص ٥٠٦ .

٢٨ــ يوجد هذا الكتاب الآن قيد التحقيق حيث يهيئ للطبع قريبا .

فانه لايكفى لبيان منزلته فى الأدب الشيعى . و هو على كل حال يقدم لنا الدليل القاطع على رواج حركة التشيع فى الآندلس فى هذا العصر . ولكى نأخذ فكرة واضحة عن ذلك انقل بعض الفقرات من هذا الكتاب مما لايبقى معه شك بتشيع صاحبه . بدا بتحية آل البيت والشهادة بحبهم : «اولائك السادة احيّى وافدى ، والشهادة بحبهم اوفّى و اؤدى ، و من يكتمها فانه آثم قلبه» .

ثم خاطبهم و ذكر نقاء حقيقتهم النبوية ، و عاقبة امرهم :

«يالك انجم هداية، لاتصلح الشمس لهم عن آية. كفلتهم فى حجرها النبوة فلله تلك النبوة ذرية بعضها من بعض. سرعان ما بلى منهم الجديد وغرى بهم الحديد نسفت اجبلهم الشامخة ، و شدخت غررهم الشادخة ، فطارت بطررهم الأرواح و راحت عن جسومهم الأرواح ، بعد ان فعلوا الأفاعيل ، و عيل صبر اقتالهم و صبرهم ماعيل» .

ويتحسر عليهم و يعرض بأعدائهم فيقول :

«اشكو الى الله ضعف الأمين و خيانة القوى ، قعد بالحسين حقه وقام بيزيد باطله و اخلاقه ، حضر موقد القضاء الخصمان ، و عنت الوجوه للرحمن ، جاء الحق و زهق الباطل ، ان الأمامة لم تكن للئيم ما تحت العمامة من سبط هند و ابنها دون البتول و لاكرامة ، يسر ابن فاطمة للدين يسميه و ابن ميسون للدنيا تستهويه ، اعطوا فكل ميسر لما خلق له ، فاما هذا فتحرج و تأثم ، و اما ذاك فتلجلج و تلعثم ، مشى الواحد الى نور يسعى بين يديه ، وعشى الثانى الى ضوء نار لايغروها لديه . ياويح من وازى

الكتاب فقال والدنيا امامه: كانت بنوحرب فراعنة، فذهب ابن بنت رسول الله ليخرجهم من العراق فانعكس الروم و حورب ولافارس والروم». وعند ما يصف الحادث المفجع لقتل سبط الرسول نحسّ ان قلبه يكاد ينفطر من الأسى فيقول :

«عاشر محرم ابيحت الحرمات ، وافيضت على النور الظلمات، فتفاقم الحادث و حمل على الطيبين الأخابث و ضرب السبط على عاتقه ويسراه، و ما اجرأ من اسال دمه و اجراه ، ثم قتل بعقب ذالكم ذبحاً و غودر حتى العاديات ضبحاً» . و يضيف مشيرا فى الأخير الى ان هذه الداهية كانت السبب فى ادبار عزّ المسلمين : «آية فتنة عمياء ، وداهية دهياء ، لاتقوم بها النوادب ، ولاتبلغ معشارها النوائب . طاشت لها النهى وطارت، واقبلت شهب الدجى و غارت . لولاها مادخل ذل على العرب ولاالف صيد الصقر بالخرب ونسف النبع بالغرب . فانظر الى ذوى الاستبصار خضع الرقاب نواكس الابصار .

و انّ قتيل الطف من آل هاشم اذلّ رقاب المسلمين فذلت

وفى الأخير يعود الى تأكيد الايمان بهم والتعلق بحبهم و تفضيلهم على اعدائهم يقول :

ما عذر الأمية و ابنائها ، فى قتل العلوية و افنائها ، اهم يقسمون رحمة ربّك ؟ كم دليل فى غاية الوضوح ، على انهم كسفينة نوح من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق، ثم يحسسهم آل الطليق ويطردهم آل الطريق. و ما نقموا منهم الاّ ان يومنوا بالله العزيز الحميد . نساؤهم أيامن امية ،

و سماؤهم ارض بنى سميّة .

من عصبةٍ ضاعت دماء محمد و بنيه بين يزيدها و زيادها

كان الحسين يقطع الليل تسبيحا و قرآنا ، و يزيد يتلف العمر تبريحا و عدوانا

عمرك الله كيف يلتقيان (٢٩) .

وقد بقى لهذا الكتاب و نزعته الشيعية صدى انتقل الى المغرب وظل بها زمنا طويلا فبعد ثلاثة قرون من تأليفه نعثر طى شرح له لأحد المغاربة هو الفقيه الأديب سعيد الماغومى الملقب بوجمعة المولود سنة ٩٥٠ هـ و يعتبر هذا الشرح اليوم من المفقودات . غير ان ابن القاضى يخبرنا فى كتابه درة الحجال (٣٠) انه كان موجودا فى خزانة المنصور السعدى بمدينة مراكش . وتظهر عناية ملوك المغرب بمثل هذه التآليف ، فيما قيل من ان شارح هذا الكتاب اخذ مكافاة على تأليفه وزنه ذهبا .

هكذا عرف المغرب هذه العقيدة خلال تاريخه ، وقد استمرّ على اتصال بها الى اليوم فيما نشاهده من مظاهر اجتماعية و ثيقة بحياته العائلية حتى تغلغلت فى روحيته ، و ان اقوى تلك الصلات التى ستظل تلازم عقيدته الى آخر الدهر هى الايمان بالامام المهدى وخروجه فى آخر الزمان ليقوم بامر الدين فيحيى الشريعة ويملاء الأرض عدلاً كما ملئت ظلما .

٢٩ــ اعتمدنا فيما نقلناه مخطوطة كتاب درر السمط فى اخبار السبط التى تهيؤ للطبع بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس والاستاذ سعيد اعراب.

٣٠ــ درة الحجال فى اسماء الرجال . ابن القاضى .

والمغاربة يتعلقون بهذه العقيدة بشدة ، غيرةً منهم على الدين حتى لنرى اليوم من ضاقت حاله و اشتدّ عليه الأمر ، ويأس من الجور وفساد الاعتقاد والأعمال في المجتمع يصعد زفرة من الأعماق داعيا الله ان يفرج الكرب بخروج صاحب «السيف» . والآراء متضاربة عند العامة عن مكان ظهوره ، و قد تعلق الناس خاصة بفكرة خروجه في قلب مدينة فاس من وسط مزار المولى ادريس الثاني ابن منشىء الدولة الادريسية الهاشمية . وذلك يرمز الى ربط هذه العقيدة بآل البيت. ومن الناس من كان يعتقد ظهوره بالسوس الأقصى ، وفي رباط ماسة في الصحراء المغربية . ولكي نرى كيف ان هذه العقيدة كانت شائعة بين الناس في المغرب والى اى حدّ تمسك بها المغاربة نذكر انها كانت الدعامة الأساسية لقيام دولة بربرية حكمت المغرب في القرن السادس الهجرى ، تلك هي دولة الموحدين (٥١٥ ـ ٦٢١هـ) .

فمؤسس هذه الدولة هو محمد المهدى بن تومرت شريف ينتصل نسبه بسيدنا الحسن بن سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قام بالمغرب سنة ٥١٥ هـ، وكان مبدؤه الأساسي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان تقيا ذا ورع وصلاح فذاع اسمه وطار صيته و تعلق به الناس ورأوا الخلاص على يديه . و ادعى انه هو محمد بن عبدالله المهدى المعصوم ، فبايعوه على ذلك . وكتب لأتباعه كتبا منها : اعزّ ما يطلب وعقائد في اصول الدين . وكان فيما يظهر ينزع الى التشيع(٣١). ثم انطلق

٣١ـ المعجب في تلخيص اخبار المغرب. عبدالواحد المراكشي ص ١١٢ و ١١٣. والإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الناصري ج١ ص ١٤٠.

ينشر دعوته بالسيف و ارسل اول جيوشه لمحاربة دولة المرابطين بمدينة مراكش سنة٥١٧هـ تحت شعار «الاقرار بالامام المهدى المعصوم»(٣٢). وقد قال فيه احد الشعراء قصيدة طويلة مطبّقا اوصاف الامام المهدى التى وردت فى الأحاديث عليه و مدعيا انه هو المهدى المنتظر ، انشدها على قبره . قال فيها :

سلام على قبر الامام الممجّد
سلالة خير العالمين محمّد
و محيى علوم الدين بعد مماتها
و مظهر اسرار الكتاب المسدّد
اتتنابه البشرى بان يملاء الدنيا
بقسط و عدل فى الأنام مخلد
و يفتح الأمصار شرقا و مغربا
و يملك عربا من مغير و منجد
فقد عاش تسعا مثل قول نبينا
فذلكم المهدى بالله يهتدى

وقد كان لهذه الدولة الموحدية التى انشأها المهدى بن تومرت شأن عظيم فى تاريخ المغرب ، وازدهرت فى ايامها العلوم والآداب والفنون والعمران .

و اتخذت المهدوية مظهرا آخر فى الفكر المغربى عند ما امتزجت

٣٢ــ المعجب فى تلخيص اخبار المغرب . المراكشى ص١١٥ .

بالروح الصوفية فتجلت في القرن السابع الهجرى في نظريات عرفانية ، ومشاهدات روحانية ، ولطائف ربانية. ذلك عند الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربى الحاتمى . فقد ذكر ان هذا الأمر هو الكنز الخفى بالبحر الغربى(٣٣).ووحد بين المشرق والمغرب حيث يكون طلوعه . وفى ذلك يقول الشيخ الاكبر : «فصل ـ ولما كان فتح المدينة التى هيأتها هكذا بالتكبير والتهليل ، وفى مقدمة العسكر جبريل ، وقد عطف اللواء المشرق نحو بلاد المشرق. و رياح المغرب تزعجه، وبشائر الفتح تلهجه والملائكة به حافّون ، و عليه ملتفون و امامه مصطفّون» . ثم يدعو الشيخ الأكبر الى التشبث بالامام ، و متابعته ، والتحفز لتلك الرحلة الكبرى فيقول :

«فاذا اخذت فى الرحيل، فاطو بساطك ايها الخليل، وسر معه بما معك من كثير او قليل ، فان لم يكن عندك قوة مال ولا طاقة لك بحمل العيال فسر الى معدن الامام، ليحثو لك من المال ان استطعت ان تحمله، وذلك ايضاً له علامة مع جلى الجبهة وقنى الأنف ، وسيرته فى الملك بين اللين والعنف ، فاصحب الركب المحفوظ المصان الملحوظ، فانّه لا خير فيما تبقى بعده ، ولكن الخير امامه وعنده » .

فاس ـ المغرب . الدكتور عبداللطيف السعدانى

٣٣ـ عَنقاء مُغرب فى ختم الأولياء وشمس المغرب. الشيخ محيى الدين العربى. ص٦٧ و ٦٩ و ٧٠ .